
إسهامات سيد قطب في الأدب الإسلامي Sayed Qutb's contributions to Islamic Literature

الدكتور محمد إسماعيل

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

الدكتور أبو بكر بهته

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

Abstract

Praise Him and pray to His Noble Messenger, but after: Islamic literature is the thought of the spirit and essence of Islam, the spirit and content of Islamic civilization, and the spirit of the heritage, history and culture of Islam.

Sayyad Qutb, may God have mercy on him, was not only an interpreter, but a great writer and a leading thinker. He is the renewed Mujahid at the same time. He understands his scientific writings and his scientific strength, which Allah grants him. Some rulers and men of some Islamic currents accused him of extremism and violence. These are false blames, but the fact is that he was away from these accusations.

Research goals

- To know the importance of literature in the Arabic language in general and especially for non-speakers.
- Evacuating Sayed Qutb's exploitations and highlighting the literary aspect of his scientific heritage.
- To Give respect and right to every person.

This study includes an introduction, three studies and a conclusion

The search plan is given below:

The first topic: The concept of Islamic literature

The second topic: The characteristics of Sayed Qutb

The third topic: The most important works of Sayed Qutb's Islamic Literary

Keywords: *Sayed Qutb; Literature; Contributions; Characteristics; Important Works; Biography*

إسهامات سيد قطب في الأدب الإسلامي

ملخص البحث

نحمده ونصلي على رسوله الكريم أما بعد:
الأدب الإسلامي فكر يتمثل روح الإسلام وجوهره، وروح حضارة الإسلام ومضمونها، وروح تراث الإسلام وتاريخه وثقافته.

إن سيد قطب رحمه الله لم يكن مفسراً فقط بل كان أدبياً عملاقاً ومفكراً رائداً، وهو المجدد المجاهد في الوقت نفسه، ويفهم من كتاباته العلمية راحة عقله، وقوته العلمية التي منحها الله تعالى إياها، وقد اتهمه بعض الحكام ورجال بعض التيارات الإسلامية بالتطرف والعنف، وألغوا في هذا الاتهام الزائف كتباً، لكن الحقيقة أنه كان بعيداً عن مثل هذه الاتهامات.

أهداف البحث

- ◆ معرفة مدى أهمية الأدب في اللغة العربية عامة وخاصة لغير الناطقين بها.
- ◆ إجلال مآثر سيد قطب وإبراز الجانب الأدبي من تراثه العلمي.
- ◆ إعطاء كل شخصية علمية وأدبية ما هو حقها من التعريف والإشادة بجهودها وخدماتها.

تشتمل هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة

خطة البحث فيما يلي

المبحث الأول: مفهوم الأدب الإسلامي

المبحث الثاني: معالم شخصية سيد قطب

المبحث الثالث: أهم أعمال سيد قطب الأدبية الإسلامية

الكلمات المفتاحية: سيد قطب، أدب، إسهامات، شخصية، أعم أعمال، سيرة ذاتية

المبحث الأول: مفهوم الأدب الإسلامي

يعد الأدب من أخصب الميادين الفكرية التي جرى فيها البحث والتدقيق وطرح الرؤى ومعالجتها، بغية الوصول إلى جوهره الكامن وراء شكله ومضمونه، ورجاء تحديد موقعه على خارطة المعرفة.

مفهوم الأدب الإسلامي:

بداية نجد التعريف اللغوي للمفهوم في قول اللغويين: "الفهم: معرفتك الشيء بالقلب. فهمه فهماً وفهّماً وفهامة: علمه.. وفهّمت الشيء عقلته وعرفته"⁽¹⁾، ولعل في هذا المعنى اللغوي ما يشير إلى المعنى الاصطلاحي الذي يُجسده أحد العلماء، حيث يعرف المفهوم بأنه "الصورة الذهنية سواء وضع بإزائها الألفاظ أو لا، كما أن المعنى هو الصورة الذهنية من حيث هو الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ"⁽²⁾، ويقاربه "جتور عبد النور" حين عرفه بأنه "صفات ومميزات تُذكر لتحديد معنى كلمة

من الكلمات " وهو عنده "كلُّ ما يمرّ في خاطرنا عند ذكر لفظة من الألفاظ، ويكون مرتبطاً بها ومعرفاً بماهيتها حسب اعتقادنا وموقفنا منها" (3).

ومن هذين التعريفين للمفهوم نستجلي حقيقته المهمة، حيث يصبح المفهوم أشبه بالفكرة العامة التي يدخل في نسيجها عدد من القضايا منها: التعريف، والمصطلح، والخصائص، والعلاقة بين الفكر والفن وغيرها، وأنه الإطار والتصور الشامل أو الصفات العامة التي يتفق المتخصصون في دلالتها على محور دراستهم. الأدب الإسلامي في مقامنا هذا، "حتى إنّ غياب هذه الصفات يؤذن بأن الاسم لا ينطبق" كما يقول الدكتور عبدالعزيز الحفني (4)، أي إن المفهوم دائرة واسعة يقع داخلها عدد من القضايا والمسائل.

تتعدد صياغات المنظرين للأدب الإسلامي في طرح مفاهيمهم له، وإن كانت تتفق في جوهرها، حيث إنها تستمد مضامينها من الشرع الحنيف وحدوده، ومن النماذج المتفق على إسلاميتها وأدبيتها.

أما عن مفهوم الأدب الإسلامي كمصطلح تركيبى فنجد في "دليل الناقد الأدبي" أن الأدب الإسلامي يشيع "للدلالة على لون من الأدب المنتج في البلاد العربية والإسلامية يتأسس على العقيدة الإسلامية وما تتضمنه من تصور للوجود، ويسعى لتمثيلها في ما يصدر عنه، سواء على مستوى القضايا والاهتمامات أو على مستوى الشكل واللغة والقيم الجمالية عموماً" (5).

ويطرح الدكتور سعد أبو الرضا مفهومه للأدب الإسلامي، فيقول: "عندما يلتقي الفنان الحياة من خلال التصور الإسلامي لها، وينفعل بها في إطار قيم الإسلام ومبادئه، ثم يصوغ هذه التجربة صياغة جميلة معبرة موحية، حينئذ يمكن أن يشكل هذا الجنس الأدبي - شعراً كان أم قصة أو مسرحية أو غيرها- شيئاً من سمات الأدب الإسلامي" (6).

ونجد مفهوم الأدب الإسلامي عند الدكتور عدنان النحوي موصوفاً بأنه "ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة في فطرة الإنسان مع حادثة أو أحداث، حين تدفع الموهبة الأدبية هذه الومضة موضوعاً فنياً ينطلق على أسلوب التعبير باللغة، ممتداً في أغوار النفس الإنسانية، والحياة والكون، والدنيا والآخرة، مع عناصره الفنية التي يهب كل منها الأسلوب قدراً من الجمال الفني، ليشترك الأدب الأمة في تحقيق أهدافها الإيمانية الثابتة والمرحلية، ويساهم في عمارة الأرض، وبناء حضارة إيمانية طاهرة، وحياة إنسانية نظيفة، وهو يخضع في ذلك كله لمنهاج الله الحق المتكامل - قرآناً وسنة" (7).

وينطلق ليصف مفهومه الخاص للفن الإسلامي عامة، ومنه الأدب، فيقول: "ليس من الضروري أن يتحدث الفن الإسلامي عن الإسلام: حقائقه، وعقائده، وشخصياته، وأحداثه، وإن كان من الجائز بطبيعة الحال أن يتناول كل هذه الموضوعات، ولكنه يتناولها، كما يتناول الوجود كله، وكل ما يجري فيه، من زاوية إسلامية، ويستشعرها بحس إسلامي" (8).

ويذكر الدكتور نجيب الكيلاني أن مفهومه هو "تعبير فني جميل مؤثر، نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والإنسان والكون، وفق الأسس العقائدية للمسلم، وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما" (9).

إسهامات سيد قطب في الأدب الإسلامي

ومن خلال هذا العرض المفصل لعدد من المفاهيم الذاتية للأدب الإسلامي، نستطيع القول بأنها جاءت متحدة الاتجاه والمنع، وكانت الصفات الماثلة فيها متقاربة متماثلة، مما يشي بالاتفاق الفكري وأن الاختلاف كائن في الصياغة ودرجة العمق فقط، خلافا لما يراه بعض الباحثين، مع أن هناك اعتراضات متنوعة على بعضها كاشتراط اللغة العربية، أو عدم التركيز على الجانب الفني الجمالي.

تعريف الأدب الإسلامي:

بداية نجد رابطة الأدب الإسلامي العالمية تطرح تعريفها التالي للأدب الإسلامي، وقد جاء فيه: هو "التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون في حدود التصور الإسلامي لها" (10).

وأما الأستاذ سيد قطب رحمه الله فإنه يعرفه "هو التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية" (11). بينما الأستاذ محمد قطب يعرفه بأنه "التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان"، أو هو "التعبير الجميل عن حقائق الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود" (12). ويعرفه الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا بأنه "التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة على وجدان الأديب، تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته" (13).

بينما نرى الدكتور عماد الدين خليل يعرفه بأنه "تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود" (14). ونجد الأستاذ محمد حسن بريفس يعرفه بقوله: "هو الأدب الذي يعبر عن التصور الإسلامي في الحياة، بكل أبعادها وألوانها. وهو الأدب الذي يحمل رأي الإسلام، ويوافق شرع الإسلام، ولا يخرج عن إطاره مهما تكن الأسباب" (15). وإن المتأمل في معطيات هذه التعريفات، ليجد أنها تتحد في أجزاء كثيرة، وأما بالنسبة للاختلاف فيما بينها فإنه ينحصر في أجزاء محددة.

ومعلوم أن بقاء العلم أيا كان دون تعريف محدد أمر يدل على الضعف، ويبدو لنا أن لتراكم المعرفة والخبرة الأثر الكبير في نضوج التعريف واكتماله، ومن هنا فإني أعدُّ تعريف رابطة الأدب الإسلامي هو الأمثل والجدير بالبقاء، حيث جاء كحصوله للجهود المبذولة في سبيل إيجاد صيغة محكمة لتعريف الأدب الإسلامي.

المبحث الثاني: معالم شخصية سيد قطب

إن سيد قطب رحمه الله تعالى لم يكن مفسرا فقط بل كان أديبا عملاقا ومفكرا رائدا وهو المجدد المجاهد في الوقت نفسه، ويفهم من كتاباته العلمية رجاحة عقله وقوته العلمية التي منحه الله سبحانه وتعالى. ومن الصعب أن نتحدث عن حياة الأديب والمفسر وأن نجمع جميع نواحي حياته في هذا المبحث، فنحاول أن نتحدث عن بعض شؤون حياته.

أصله ونسبه:

هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد في قرية "موشا" عام 1906/10/9م جنوب مدينة "أسيوط" بصعيد مصر حيث نشأ في أسرة ميسورة الحال. (16)

وذكر الأستاذ أبو الحسن الندوي رحمه الله في كتابه: "أن سيد قد حدثه بذلك مبينا له السبب لزيارته للهند ومحددا له اسم جده السادس⁽¹⁷⁾، غير أن الأستاذ محمد قطب نفى ذلك وقال: "سمعنا من الوالد أن اسمه ينتهي بلقب "الفقير عبد الله" ولما كان لقب الفقير من الألقاب التي يسمى بها المنتقطعون للدين وللعلوم الشرعية فقد ظننا - مجرد ظن - أن نسب الوالد ينتهي إلى أصل هندي، ولكن ليس عندنا ما يقطع بذلك"⁽¹⁸⁾.

أسرته:

قال سيد قطب عن أسرته بنفسه: "أنه نشأ في أسرة ليست عظيمة الثراء ولكنها ظاهرة الامتياز.. كانت في وقت من الأوقات عظيمة الثروة لكنها توزعت وتضاءلت الثروة بالميراث وبقي لوالده قدر لا بأس به منها ولكنه كان يناقص دائما كان والده قد صار عميد الأسرة المكلف حفظ اسمها ومركزها في الوقت الذي لم يناله من الميراث إلا نصيب محدود لا ينهض بما كانت تنهض به ثروة الأسرة مجتمعة على حين لا يستطيع أن ينقص من تكاليف المظهر في الريف. وكان والده صاحب المنزلة والشرف في القرية ويقال أن ماله كان لا يكفي لتكاليف عائلته فكان يبيع قطعة قطعة إلى أن انتهى جميع ما ملكه من أبيه وكان صاحب السخاء والعطاء وكان لوالده عدد من الخدم، لم يكونوا خدما بالمعنى المعروف، بل كانوا فقراء القرية، يعملون عند العائلة مقابل (أكلة) أو بعض الملابس أو بعض الوقود..."⁽¹⁹⁾.

وتزوج والد سيد قطب زوجتين وأنجب من الثانية سيد قطب وأربعة أولاد أخرى وهم: نفيسة وهي تكبر سيد قطب بثلاثة أعوام، ثم ولد سيد قطب والثالثة ولدت أمينة وكانت تصغر سيد وهي كانت تشارك في الأعمال الأدبية وكانت شاعرة وكتبت قصتين: "في تيار الحياة" و "في الطريق". وحطبت لأحد الإخوان المسجونين منذ عام 1954م اسمه "كمال السنائري" وتزوجته بعد الإفراج عام 1973م، ثم ولد محمد رابعا، قال محمد قطب: إن "سيد" بقي ولدا وحيدا لأمه ما يزيد على ثلاثة عشر عاما إلى أن وُلد شقيقه "محمد" وكانت ولادته في شهر "إبريل" عام 1919م⁽²⁰⁾. والولد الخامس لوالد "سيد قطب" هي بنته "حميدة"، وهي أيضا شاركت في أعمال أدبية وسجنت أيضا ثم أفرج عنها بعد ست سنوات وتزوج بها الدكتور حمدي مسعود⁽²¹⁾.

دراسة سيد قطب:

أ: دراسته في القرية:

بدأ دراسته في السادسة من عمره، وفي البدء اختلفت أسرته ما بين مؤيد لتعليم الكتاب ليحفظ القرآن كسائر من سبقوه، وما بين مؤيد للتعليم المتطور في مدارس الدولة الحديثة، واستقرت الحال على أن يلتحق بالمدارس الحديثة ولم يكن سيد قطب يدري بهذا النقاش وتلقاه بالقبول والتحق بالمدرسة، ولم يكن ذلك يروق له بسهولة لأنه تعود للعب مع أخته والمدرسة ستحرمه من هذا اللعب، ولما التحق بالمدرسة خاف من شدة ضابط المدرسة المسؤول عن النظام فغاب ما يقرب من أسبوعين، ثم أخيرا استقر في الدراسة والتزم بالتعاليم المدرسية⁽²²⁾.

ثم بدأ سيد قطب حفظ القرآن الكريم على إصراره والده وهو في السنة الثانية الابتدائية. قال سيد قطب: "فما يكتمل العام حتى حفظ ثلث القرآن حفظا جيدا يباهي به من يتحداه"⁽²³⁾.

إسهامات سيد قطب في الأدب الإسلامي

كان سيد قطب مشغولاً بالقراءة منذ صغره وبنى الصداقة مع أحد بائعي الكتب في قريته وكان يسميه (عم صالح) الذي كان يحتفظ له بالكتب التي كان يجلبها ويتلطف لقراءتها ويشتاق إلى قراءتها، وكان لا يبخل على الكتب بالمال مهما ارتفع السعر حتى ولو بلغ ثمن الصفقة الواحدة خمسة قروش (24).

وسيد قطب كان يجمع مصروفه اليومي وينتظر إلى عم صالح أن يأتيه بكتب فيشتري منه بمصرفه، وإذا انتهى المصروف كان يستعين بوالده فأعطاه ما يشتري به. وإذا أحب كتاباً ما ولم يقدر على شرائه، كان يستعيره من عم صالح ويرده بعد القراءة (25). وانتهى سيد من المدرسة الابتدائية في القرية عام 1918م. وأراد والداه إرساله لإكمال تعليمه في القاهرة لكن الثورة التي ثارت في عام 1919م. انقطع بسببها سيد قطب لبعض الفترة من الدراسة، ومن ثم التحق بمدرسة المعلمين الأولية بالقاهرة (26).

ب: دراسته في القاهرة:

سافر سيد قطب من القرية إلى القاهرة لتكميل دراسته في عام 1920م، ثم مرة أخرى انقطع عن الدراسة أكثر من سنة وفي عام 1922م التحق بمدرسة المعلمين الأولية، وكان لا يلتحق بها إلا من تجاوز الخامسة عشرة من عمره والمدرسة التي التحق بها كانت تسمى "مدرسة عبدالعزيز" ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات. وتخرج سيد قطب فيها عام 1924م وحصل على "إجازة الكفاءة للتعليم الأولي"، ثم واصل دراساته والتحق بمدرسة "تجهيزية دار العلوم" وهي تعادل الدراسات الثانوية وتخرج منها عام 1929م والتحق بكلية دار العلوم في نهاية نفس العام ودرس أربع سنوات وتخرج في صيف عام 1933م، وأخذ شهادة "الإجازة العالية" - اللسانس - في اللغة العربية وآدابها (27).

انضمام سيد قطب إلى جماعة الإخوان المسلمين، اعتقاله واستشهاده:

أولاً: انضمامه إلى الإخوان:

كانت مذاهب الإخوان مازالت مستمرة من جهة حكومة عبد الناصر في مصر وفي فترة المحنة هذه انضم "سيد" للإخوان عام 1953م (28). وتختلف الآراء عن حقيقة انضمامه إلى الإخوان بعضها إشاعات مطلقة والكذب على التاريخ والجنافية على الحق، وان سيد قطب لم ينضم بالإخوان فجأة بعد عودته من أمريكا، بل كانت أفكاره تتفق مع الإخوان من قبل، كما يقول منير غضبان في تأليفه عن شخصية "سيد قطب" (وقد التقى فكراً مع جماعة الإخوان المسلمين قبل انضمامه إليها حيث كان موقفه من الغرب وموقف الجماعة واحداً وذلك حين كان الاستعمار يجرم على صدر هذه الأمة) (29)، أو كان سيد قطب عندما يعمل في جريدة "الإصلاح" في عام 1947م فتأثر به حسن البناء ودعاه (سيد قطب) إلى الاشتراك عملياً والانضمام بتنظيم الإخوان لكن سيد قطب اعتذره بكل لطف، وقال يجب الآن أن أكون مستقلاً وأعمل مستقلاً، لكنه عندما رجع من أمريكا فزاد ميله إلى الإخوان بسبب الحادثتين وتحديث عبد الله عزام عن هاتين الحادثتين:

الأولى: أثر اغتيال الحكومة لحسن البناء على الأمريكيان، فقد تم اغتياله من رجال الحكومة في مصر و22 فبراير عام 1949م ولاحظ سيد قطب وهو كان مستلقياً فوق سريره في المستشفى مظاهر الفرح والسرور، ومعالم الزينة وأنوار الكهرباء

الملونة عند الأمريكان لاغتيال حسن البنا، وقرأ تحليلات وتعليقات الصحف هناك عن شخصيته واعتبره المحللون في المقالات أخطر رجل في الشرق، واعتبر المحللون أيضا "جاعة الإخوان" أخطر تنظيم في الشرق يقف أمام خطط الغربيين وأهدافهم. وقد تحدث سيد قطب أيضا عن هذا في كتابه تحت عنوان "سرد تاريخي لنشاطي في حركة الإخوان المسلمين وبيان للحوادث" (30).

الثانية: جمود رجل المخابرات البريطاني في تحذير سيد قطب من خطر الإخوان. فلما عاد سيد قطب من أمريكا زاد قرية للإخوان، لكنه لم ينضم رسميا، ثم أعلن انضمامه رسميا بعد سنتين، وقد تحدث سيد قطب عن جميع ما دفعه إلى الانضمام وأهم ما حدث بينه وبين الإخوان منذ بداية.

هذا ما يتعلق بعلاقته مع الإخوان، أما عن اعتقاله، فقد تم اعتقاله لأول مرة ضمن مئات من أعضاء الإخوان في عام 1954م. ثم قام الإخوان بمظاهرات وطلبوا من الحكومة الإفراج عنهم، فأطلق سراحهم في نفس الشهر الذي اعتقلوا فيه. وفي شهر أكتوبر سجن سيد قطب مرة أخرى بعد فشل محاولة اغتيال عبد الناصر في الإسكندرية فسجن مرة أخرى، فتم إخراج الأستاذ سيد قطب في عام 1964م، ثم بدأت حكومة عبد الناصر موجة أخرى من الاعتقالات، فسجن سيد قطب مرة أخرى في عام 1965م (31).

ب: شهادة سيد قطب:

حكمت المحكمة العسكرية بقيادة جمال عبد الناصر على سيد قطب بالإعدام، وطلبت من سيد قطب أن يكتب سطورا أو جملة للرئيس عبد الناصر يسترحمه ويعتذر إليه، سوف يُخرج من سجنه ويُلقى حكم الإعدام الصادر ضده. فلما فشلت الحكومة في استرضائه وقبوله لشروط عبد الناصر استخدمت أخته "حميدة" لتَضَعَط عليه، وهي تروي قائلة: فذهبت إلى أخي، وسلمت عليه، وبلَغْتُه ما يريدون منه، قالت فنظر إلي ليرى أثر ذلك على وجهي، وكأنه يقول لي: أنت تطالبين ذلك أم هُم؟ واستطعت أن أفهمه بالإشارة أنهم هم. قالت فأفهمت أخي الحكاية من أولها. وقلت له: إن حمزة استدعاني، وأراني حكم الإعدام، وطلب مني أن أطلب منك هذا الطلب (32). المهم أن المفكر الرائد والأديب العملاق وخادم مصر والأمة الإسلامية جميعا قُدم إلى حبل المَسْتَقَّة في عام 1966/08/29م مع إخوانه عبد الفتاح إسماعيل، ومحمد يوسف هواش (33).

المبحث الثالث: أهم أعمال سيد قطب الأدبية الإسلامية

كتبه العلمية

تتجاوز مؤلفات سيد قطب أكثر من عشرين كتابا:

تفسير في ظلال القرآن

تفسير من طراز فريد، يُدرك من خلاله تلاحم النص الذي يقوم على رعايته والعناية به، وإبراز تراجمه البلاغية، وهذا النص المتلاحم هو القرآن الكريم.

إسهامات سيد قطب في الأدب الإسلامي

وهو تفسير يدرك أنه قام على بيان ما في القرآن الكريم من تصورات أراد الله سبحانه لها أن تقود خطوات البشرية الضالة نحو السعادة.

والندوق الأدبي للنص القرآني عند سيد قطب ليس مجرد نزعة انطباعية غامضة تعتمد على الوجدان الزائد وحده، كما يقول بعض الدارسين، بل يحكم هذا التدقيق عنده عدة ضوابط.

وما يهمننا في التعقيب هو التقاط أنّ ثمة ضوابط تحكم ما سمّاه هو نفسه خواطر أو انطباعات.

هذا كله بالإضافة إلى اللغة البيانية الرائعة التي كتبت بها تفسيره.

وتقصد بهذا المنهج قراءة النص الكريم، وبيان ما فيه، أو تفسيره في ضوء الهدف الذي أنزل من أجله، وهذا في تصور سيد قطب ضغط حركة الكون والإنسان فيه، ورد البشرية الموعاة في شعب الضلال إلى حركة يحكمها تصور إرادة الله سبحانه.

وهذه الحركة أمرٌ ظاهر من أول سطور التفسير، يقول سيد قطب: "عشتُ أتملى في ظلال القرآن، ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود لغاية الوجود كله، وعناية الوجود الإنساني، وأقيس إليه تصورات الجاهلية التي تعيش فيها البشرية في شرقيّ وغربيّ، وفي شماليّ وجنوبيّ، وأسأل كيف تعيش البشرية في الدرك الهابط، وفي الظلام البهيم وعندها ذلك المرتع الزكي، وذلك المرتقى العالي، وذلك النور الوضيء"⁽³⁴⁾. وكل تلك الأوصاف إنما المقصود بها هو القرآن الكريم.

وسيد قطب دائم التذكير بعصابات المضللين وجماعات المخادعين الذين يعادون البشرية عندما يضعون تصورات مخالفة لمنهج الله ثم يقهرون هذه البشرية على السير في هذه الدروب المظلمة التي تنال من إنسانيتهم.

وهو يرى من منظور المنهج الحركي هذا ضرورة النظر إلى قضايا الوجود مرتبة وفق أولويات محددة أتى في قمتها ما سمّاه التسمية الموقفة بقضية الوجود الكبرى، وهي توحيد الله سبحانه التي تكفل القرآن المكي وهو أكبر في تعداد سوره من القسم المدني، وأمر ذلك ميسور التفسير؛ لأنه بمثابة الأساس الذي يقوم عليه بيان الجماعة المؤمنة في ضبط حركتها في الحياة، ثم تأتي قضية إقامة شريعة الله سبحانه في الأرض.

من جانب ثانٍ فإن آثار ثقافة سيد قطب الأدبية والنقدية تبنت في مجموعة من الآليات والإجراءات حافظ عليها في طول تفسيره.

من أهم هذه الإجراءات النظر إلى السور من باب إن كل سورة تمثل كياناً متكاملًا متناسقًا مترابطًا، أو ما يُسمّى بلغة النقد الأدبي هناك وحدة موضوعية تفعل عملها في تلاحم أجزاء السورة كلها، ومن أجل ذلك حرص سيد قطب في مفتتح كل سورة، وقبل التعرض لبيان تفسير الآيات بشكلٍ تفصيلي أن يكتب كلمة افتتاحية تمثل الغرض أو الموضوع الذي تمثله السورة أو تحاول أن تُعالجه من وجهة نظره مدعومة بالأدلة من لغة السورة.

فهو يهتم في كل سورة قرآنية بالعثور على الخيط الذي يربط آياتها كلها بعضها ببعض، وهو يسميه "المحور" الذي تدور عليه آيات السورة وموضوعاتها ويجعل منها وحدة فكرية وموضوعية.

مدى ما احتشد به سيد قطب من معارف جعلت من تفسيره هذا تفسيراً مؤسساً على العلوم اللازمة لأي نشاط تفسيري للكتاب العزيز، فما ذكره من علاماتٍ في المفتاح من قصد الآيات... إلخ هي علامات رصدها علماء علوم القرآن، مما يذكرنا بنفي أن يكون هذا التفسير مجرد انطباعات بالمعنى المتداول بين الناس.

على أنّ الحرص على فكرة الوحدة المتأسكة، والمحور الواحد، ليست جديدة على النشاط التفسيري للنص الكريم، فعلماء علوم القرآن الكريم يعرفون علمًا هذا هدفه هو "علم التناسب"، أو تناسب الآيات والسور وهو علم يبحث في تعاقب الآيات والسور بهذا النسق في المصحف الشريف، وهو علم يقرر أولاً النص كله وحدة متلاحمة، وأن سورة بما فيها من آيات تربطها حكمة ترعى مبدأ التلاحم ومن أشهر من كتب في هذا المجال هو برهان الدين البقاعي (885هـ)، وقد وصل إلينا تفسيره نظم الدين في تناسب الآيات والسور، وقد طبع في اثنين وعشرين مجلدًا في حيدر آباد بالهند.

وكذلك نجده كثير الذكر لأمر السياسة والحضارة يؤكد ما سميناه منهُجًا حركيًا يسعى لضبط حركة الإنسان في الكون بتصور القرآن الكريم باعتباره مفتاح القفل الذي يمكنه التعامل مع الإنسان، الذي هو خلق الله.

ونظرًا لهذا يجب قراءة تفسير سيد قطب في ضوء أمرين أساسيين حتى لا يكون أداة لسوء الفهم، وسوء الاستنباط وهو ما حدث في مراحل تاريخية محددة، وهو بريء من آثارها، فلم يكن سيد قطب باعتباره الجناح الضخم بعد حسن البنا في التنظير للإخوان داعية عنف أو إرهاب.

الأمر الأول: أن تفسير سيد قطب باعتباره تفسيرًا حركيًا لا يصح أن يُقرأ إلا في استحضار مقولة (الدعوة) بمعنى أن كتاب سيد قطب ليس كتاب أحكام، وليس هو معنيًا بهذا لا في المقام الأول ولا حتى في المقام العاشر، وإنما هو كتاب (دعوة) ومنطق الدعوة قائم على استثارة العاطفة وإرادة رد الجماهير إلى طريق الله.

وغير خافٍ أنّ الجماهير التي تَلَقَّتْ هذا التفسير هي جماهير عصرٍ تَأَلَّبَتْ عليه جماعات من المضللين وفق أقوال سيد قطب، والذي رأى أنهم ابتعدوا كثيرًا من تصور الله المراد من كتابه العزيز ومن هنا فإنَّ كثيرًا من الألفاظ الاستبدادية والإنكارية ينبغي أن تفهم في ضوء مراد سيد قطب الدعوي الذي قد يكون فضفاضةً بعض الشيء من المنظور العلمي.

الأمر الثاني: أنه لا يصح قراءة هذا التفسير بمعزلٍ عن فكرة المحنة التي كان يعيش في أجوائها باعتبار موقعه التنظيمي من حركة الإخوان المسلمين، وهو الأمر الذي انتهى باستشهاد.

وأن آثار هذه المحنة جعلت عاطفته المتوقدة تشتعل عند كثير من صور عرض مشاهد القيامة أو قصص الطغاة والمتجبرين في القرآن الكريم.

وأساس هذا البرهان وهذا الفكر هو الرجوع إلى النص القرآني وتدبره، إلى محاولة استرجاع بيئة الواحة أو السعادة، ومن أجل ذلك كان الظلال!

إسهامات سيد قطب في الأدب الإسلامي

معالم في الطريق: هو كتاب كتبه سيد قطب في نحو مئتي صفحة، هو كتاب التربية والدعوة الإسلامية الصحيحة، وعندما يقرأه المسلم يتحرك شعوره ويدفعه إلى العمل والجهاد في سبيل الدعوة الإسلامية، ويعرف فيه حقيقة الجاهلية في العصر الحاضر.

طفل من القرية: وهو كتاب في مئة صفحة تقريبا وهو سيرة ذاتية لسيد قطب.

هذا الدين: هو كتاب آخر من مؤلفاته ويتحدث فيه عن عظمة هذا الدين وعن حقيقة المنهج الإسلامي، ويظهر فيه أن منهج الإسلام يطبق بالجهد والطاقة البشرية.

لماذا أعدموني؟: هو كتاب صغير في ستين صفحة، وكتبه في السجن ويتحدث فيه عن انضمامه إلى الإخوان ونشاطه معهم، وعن مبادئ الإخوان، وأهمية هذه الجماعة أمام أهداف الصهيونية والاستعمار الغربي.

أشواك: هو كتاب آخر وهي رواية كتبها بلغة سهلة جدا، وهي قصة فتاة تحطب لرجل وتكون على علاقة بشاب آخر وتشعر بالصراع بينها وتكشف لخطيبتها عن تلك العلاقة لتتوالى الأحداث وما إلى ذلك.

نحو مجتمع إسلامي: هذا كتاب آخر لسيد قطب وهو من أجود الكتب في فكره، يعرض فيه المقومات والطبيعة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، ويوضح فيه خصائص المجتمع الإسلامي والفرق بينه وبين المجتمعات الأخرى مع ذكر مزايا المجتمع الإسلامي.

ممركتنا مع اليهود: وهو من الكتب التي لها تأثير في نفوس المسلمين وحافل بجرارة الإيمان والعمق والغيرة، وهذا الكتاب مجموعة من المقالات التي كتبها سيد قطب دفاعا عن الإسلام عامة ومصر خاصة ضد الاستعمار الغربي.

أفراح الروح: هي مذكرة صغيرة تحتوي على خمس عشرة خاطرة لسيد قطب، ولم يسم سيد قطب هذا الكتاب بهذا الاسم بل سماه الناشر، لأن الكتاب فرحة وطمأنينة للقلوب.

المدينة المسحورة: هي رواية أخرى من مؤلفاته وهي رواية قصيرة في تسعين صفحة، كتبها سيد قطب بأسلوب رائع ولغة سهلة.

في التاريخ فكرة ومنهاج: هذا من أروع الكتب في الفكر الإسلامي، وهي مجموعة من ست مقالات. والكتاب صغير لكنه حافل بالأفكار العميقة والواسعة فهو عظيم في النفع.

خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: هو أيضا من أهم الكتب في الفكر الإسلامي، وقد رسم فيه رؤية حقيقية للإسلام، وفارق فيه بين المجتمع الإسلامي والجاهلي، ودعا إلى رسوخ هذه المقومات في حياة المسلم.

العدالة الاجتماعية في الإسلام: كتبه سيد قطب في عام 1947م، وهو في نحو مئتين وعشرين صفحة.

تفسير آيات الربا: هو كتاب صغير يتحدث عن قضية "الربا" وقد جمع فيه الآيات من سورة البقرة، آل عمران، الروم، والنساء. يتحدث فيه عن أضرار الربا.

المستقبل لهذا الدين: هو مجموعة أخرى من أفكار سيد قطب يتحدث فيه عن مسائل محورية للدين الإسلامي، عن دور الدين في حياة المسلم، وعن دور العقيدة الخالصة في حياة الواقعية للبشر.

مشاهد القيامة في القرآن: أهدى سيد قطب هذا الكتاب إلى أبيه، وقد طبع عدة مرات في أنحاء العالم. يتحدث فيه عن عالم الآخرة، وهو كتاب تربوي يؤكد فيه أن العالم الآخر لا ينبغي أن يكون موصوفاً في الحياة فقط بل يجب أن يكون محسوساً حياً يعيش فيه المسلمون، ويتحدث عن شتى مشاهد القيامة، عن مشهد النعيم، ومشهد الجحيم والعذاب.

النقد الأدبي أصوله ومناهجه: هو كتاب آخر يعرّف فيه بالنقد وأهميته وقيّمته ضمن العلوم، والكتاب يتحدث عن قيم الشعورية والتعبيرية في العمل الأدبي، وعن قواعد النقد الأدبي بين الفلسفة والعلم.

السلام العالمي والإسلام: يوضح فيه مبادئ الإسلام للسلام في العالم وكيفية الوصول للسلام العالمي من المنظور الإسلامي.

خاتمة البحث

بعد هذا البحث الموجز عرفنا أن سيد قطب كان رجلاً أديباً موهوباً، وكاتباً جيداً، وقاصاً وفسيراً ماهراً، كما كان سيد قطب الإنسان عصامياً، صادقاً، ذا فكر ثاقب ونظر بعيد، وجلد لا حد له، وإصرار على البروز والتميز، جاهد جهاداً كبيراً في سبيل نهوض مجتمعه.

ومن توصيات البحث

- إعادة طبع مؤلفات الكاتب وخصوصاً منها (في ظلال القرآن، معركتنا مع اليهود، مشاهدة القيامة في القرآن) وحبذا لو جمعت جميع أعماله في إصدار واحد مضافاً إليها مقالاته في الصحف والمجلات.
- يجب للمعلمين والأساتذة أن يوجهوا تلاميذهم بدراسة كتب سيد قطب قراءة وتحقيقاً.
- على الجمعيات والمؤسسات عقد المؤتمرات والندوات بعنوان شخصية سيد قطب ومثله في الأدب العربي على المستوى الحكومي والشعبي.

المصادر والمراجع

- (1) ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط1، 1410هـ، مادة: ف ه م
- (2) أبو البقاء أيوب الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، حققه: د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة دمشق، ط1، 1412هـ، ص 860
- (3) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت، ط2، 1984م، ص 259
- (4) د. عبدالعزيز، المعجم الفلسفي عربي إنجليزي فرنسي ألماني لاتيني، الدار الشرقية، 1410هـ، ص 331
- (5) د. ميجان ود. سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي بيروت، ط2، 2000م، ص 19
- (6) د. سعد أبو الرضا، الأدب الإسلامي قضية وبناء، عالم المعرفة جدة 1403هـ، ص 7
- (7) د. عدنان النحوي، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، دار النحوي الرياض، ط2، 1407هـ، ص 76

إسهامات سيد قطب في الأدب الإسلامي

- (8) محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ص 119
- (9) د. نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، دار ابن حزم بيروت، ط2، 1413هـ، ص 36
- (10) تعريف برابطة الأدب الإسلامي العالمية، الناشر الرابطة، ط1، 1409هـ، ص8
- (11) سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق القاهرة، ط10، 1413هـ، ص 28
- (12) محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ص 6، 119
- (13) د. عبدالرحمن الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي القاهرة، ط4، ص 112
- (14) د. عماد الدين الخليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1408هـ، ص 69
- (15) محمد حسن بريغش، في الأدب الإسلامي المعاصر دراسة وتطبيق، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، ص 94
- (16) يوسف العظم، الشهيد سيد قطب، دار المعارف مصر، 1961م، ص 20
- (17) أبو الحسن الندوي، مذكرات سائح في الشرق، ص 153
- (18) عن طريق الأستاذ محمد قطب سنة 1403هـ.
- (19) سيد قطب، طفل من القرية، منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا، 1429هـ، ط1، ص:9
- (20) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دار القلم دمشق، ط2، 1994م، ص:42
- (21) د. صلاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص:48 – 49
- (22) سيد قطب، طفل من القرية، ص:11 – 13
- (23) سيد قطب، طفل من القرية، ص: 19
- (24) سيد قطب، طفل من القرية، ص:60
- (25) د. صلاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص:65
- (26) وصفي عاشور أبو زيد، في ظلال سيد قطب، ص:20
- (27) د. صلاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص:71
- (28) د. صلاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص:333 – 334
- (29) د. منير غضبان، سيد قطب ضد العنف، ص:3
- (30) سيد قطب، لماذا أعدموني، ص:6 – 15
- (31) عبد الله عزام، عملاق الفكر الإسلامي، نشر وتوزيع مركز شهيد عزام الإعلامي ببشاور، ص:13- 17
- (32) سيد قطب وعبد الناصر من علاقة حميمة إلى حبل المشنقة، المقالة، اليوم السابع، رئيس التحرير خالد صلاح
- (33) د. صلاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص:471
- (34) سيد قطب، في ظلال القرآن، مقدمة الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، 1952م